# مضمون مصادر الرحلات الإغريقية والرومانية لبلاد المغرب الأوسط قبل الفتح الإسلامي

د. الطيب زين العابدين
جامعة محمد لمين دباغين - سطيف (2)

**الملخص:**

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على مختلف الرحلات المتوجهة نحو بلاد المغرب الأوسط- نوميديا- لما لهذا المكان و الحقبة التاريخية من أهمية وبخاصة وأنها مرتبطة بفترة لاحقة لها وهي فترة تاريخ المغرب الأوسط خلال الفترة الإسلامية، فمثلما كان هناك رحلات إبان الفترة الوسيطة، فلا يجب أن نغفل عن الرحلات القديمة وما تركته من معلومات من الأهمية بمكان، سواء تعلق الأمر بالمصادر اليونانية أو الرومانية من حيث مضمونها المختلف أو المتباين، فقد شكّلت مصادرهم وكتاباتهم أثرا من الناحية الحضارية باعتبار أن رحلاتهم وزيارتهم لنوميديا لها أبعادها المختلفة.

**الكلمات المفتاحية:** المصادر؛ نوميديا؛ الإغريق؛ الرومان.

**Abstract:**

This research paper aims to shed light on the various trips heading towards the countries of the central Maghreb - Numidia - because of the importance of this place and the historical era, especially as it is linked to a later period to it, which is the period of the history of the central Maghreb during the Islamic period, just as there were trips during the medieval period, no We should ignore the ancient travels and the important information they left behind, whether it comes to Greek or Roman sources in terms of their different or divergent content. Their sources and writings constituted an impact from a cultural point of view, considering that their trips and visits to Numidia had different dimensions.

**Keywords:** Sources; Numidia ; Greeks; Romans.

**المقدمة:**

تعد المصادر التاريخية المسلك الوحيد الذي يعود إليه كل باحث في تقصيه للحقائق التاريخية ذات الصلة بموضوع دراسته، بعيدا عن الذاتية، مقارنا بين مختلف وما هو وارد فيها، ومن هنا يطرح موضوع دراستنا إشكالية حول البحث فيما احتوته المصادر الأجنبية سواء الإغريقية أو الرومانية للرحالة والجغرافيين القدماء عند تدوينهم لأخبار بلاد المغرب الأوسط، وهذا قبل الفتح الإسلامي؟

وأما بالنسبة إلى الأسلوب المتبع في دراسة مضمون تلك المصادر، فهو مزيج بين المنهجين الوصفي والتحليلي الذي وجدناهما مناسبين لدراستنا، حيث نقوم بتقديم أهم النصوص من أجل إظهار نظرتهم لمنطقة المغرب الأوسط قبل الفتح الاسلامي، وقد قسمنا عملنا إلى ثلاث محاور أساسية، وذات أهمية بالغة جاءت على النحو الآتي:

-المصادر الكلاسيكية.
- مضمون مصادر الرحلات الإغريقية.
- مضمون مصادر الرحلات الرومانية.

**1. المصادر الكلاسيكية:**

تميّزت عموما بشح معلوماتها وتبعثرها، بل تناقضها في مواضيع عديدة، نظرا لِأنها كتبت خلال فترة احتكاك النوميديين بالقرطاجيين، ونذكر من أهمها بعض الإشارات التي ذكرها هيرودت Herodote في كتابه التورايخ Histoires حيث زودنا ببعض المعلومات عن سكان المنطقة التي عرفت آنذاك بنوميديا، وبعض الآلهة الوثنية التي عبدوها من دون الله، والطقوس التي مارسوها، كما تم ذكر بعض الحيوانات التي كانت محل تقديس عند المغاربة القدامي، وهي إشارة هامة جدا من هيرودوت خاصة إذا رجحنا احتمال زيارته لليبيا، ومن الأخبار ما نقله كل من ديودر الصقلي Diodore de Sicile (80-20ق.م) صاحب المكتبة التاريخية

Bibliothéque Historique الذي تطرق إلى الشعوب التي سكنت المنطقة، كما أشار إلى بعض الآلهة الوثنية التي كانت تعبد من دون الله، وبعض العادات المرتبطة بالجانب الديني كطرق تقديم القرابين، وأما عن مضامين محتوى بوليبيوس Polype(210-122 ق.م) الموسوم بالتاريخ Histoire وتيتوس ليفيوسTite Live(59 ق.م-17م) صاحب كتاب التاريخ الروماني الاذين أوردا العلاقات التي كانت تجمع بين القرطاجيين والنوميديين، إضافة إلى ذلك هناك مجموعة من المصادر مثل كتب سالوست الذي تطرق إلى"حرب يوغرطة" مع الرومان، وجغرافية سترابون الذي تناول فيها جغرفية بلاد المغرب بصفة عامة ونوميديا [1].

وتشمل المصادر أيضا بعض مؤلفات المؤرخين والخطباء والشعراء والكتاب الرومان أو اليونان الذي وصلتنا بواسطتهم معلومات تاريخية عن المنطقة الليبية أو منطقة إفريقيا الشمالية، وهذه المؤلفات تتضمن معلومات تفيد في كتابة تاريخ روما القديمة وتاريخ أوتيكا وليسكوس(أي العرائش) وتاريخ مدينة قرطاجة، وتاريخ النوميديين وملوكهم القدماء، تاريخ مدن بلاد المغرب القديم بصفة عامة التي أنشأت في العهد الافريقي المبكر أو العهد الفينيقي أو العهد الروماني مثل ايكوسيوم ومدينة إيجليلي ومدينة سيقا وسيرتا وتيمقاد وكويكول وسيطيفس القيصرية...الخ[2].

## 2- مضمون مصادر الرحلات الإغريقية.

تحتل المصادر الكلاسيكية الإغريقية مكان الصدارة في الإشارة إلى تاريخ بلاد المغرب القديم، وبخاصة نوميديا رغم ما يسودها من خلط وتشويه وتكرار، يأتي في مقدمة هذه المصادر الرحلات التي جاب أصحابها شواطئ بلاد المغرب منطلقين من الشرق إلى الغرب أو العكس، وقد تضمنت هذه الرحلات وصفا لبعض الأماكن والقبائل والثروة النباتية الموجودة ببلاد المغرب، ومن هذه الرحلات رحلة سيلاكس البحارة والجغرافي اليوناني الذي وصلتنا كتاباته تحت عنوان "رحلة سيلاكس"، ورغم ما يشوب

نصوص هذه الرحلة من غموض وتشويه إلا أنها تضمنت أسماء بعض الأماكن الممتدة على كامل سواحل ليبيا القديمة ابتداء من خليج السيرت الكبير حتى أعمدة هرقل، كما أوضحت الرحلة بأنّ كامل المدن الموزعة على شواطئ ليبيا القديمة هي موانئ قرطاجية ومنها المدن النوميدية [3].

يجب أن نشير أنّه قبل بداية القرن الخامس قبل الميلاد تطورت كتابات الإغريق من الوصف إلى محاولة التفسير، فهيرودوت المعروف بميوله وتخصصه بدراسة التاريخ إلا أنه قام بدراسة الكثير من المواضيع الجغرافية، فقد ترتب على أسفاره الكثيرة وكتاباته الوصفية حينا والتفسيرية حينا آخر للأماكن التي زارها في مساعدة الباحثين في توضيح العديد من القضايا الجغرافية[4] وبخاصة السكانية، إذ أورد لنا هذا في الرحالة العديد من المعلومات عن سكان بلاد المغرب القديم بشكل عام ونوميديا بوجه خاص أن ومن ذلك قوله: **" هؤلاء هم الليبيون...، إنها مأهولة بأربعة شعوب لا أكثر: شعبان أصيلان وشعبان أجنبيان، الأصيلان هم الليبيون والإثيوبيون، يستوطن أحدهما شمال ليبيا والآخر جنوبها، أما في شأن الأجنبيان فهما الفينيقيون والإغريق"**[5].

والأغرب من ذلك وفي المصدر نفسه يقول وحسبما سمعه وليس ما شاهده: **(أما البلاد التي تقع غرب هذا النهر- حيث يعيشوا زارعو الأرض- فجبلية للغاية وملأى بالأحراش والحيوانات الضارية، ويوجد في تلك البلاد الأفاعي الضخمة والأسود والفيلة والدببة والصلال والحمير القرناء، ومخلوقات رؤوسها رؤوس كلاب وأخرى لا رؤوس لها وعيونها في صدورها، كما يقول الليبيون، فضلا عن مخلوقات أخرى ليست خرافية))**[6].

كذلك يذكر هيرودوت:**(( بأنّ ملابس ودروع تماثيل أثينا قد نقلها الإغريق عن النساء الليبيات ومنهم- نوميديا-، غير أنّ لباس النساء الليبيات يكون من الجلد وأنّ شرابات الزينة المتدلية من الدروع ليست شعابين بل هي من الجلد، أما بقية الأشياء فقد صنعت متشابهة، كما أنّ الاسم ذاته يشير إلى أنّ لباس تماثيل أثينا ( المسماة بالادي) قد جاء من ليبيا- المغرب القديم ولا نستثني نوميديا-، لإنَّ النساء الليبيات يضعن على أثوابهن شرابات من جلد الماعز خالية من الشعر وملونة بلون أحمر...الخ، كما تعلم الإغريق من الليبيين كيف يقرنون أربعة جياد في قيادة العربات))[7].**

الأكثر من ذلك يضيف: **(( يدفن البدو الرعاة الموتى مثل الإغريق باستثناء النسامونيس، فهؤلاء يدفنونهم جالسين – القرفصاء- ويحرصون على أن يكون الإنسان جالساً عند خروج الروح (بزعمهم) حتى لا يموت وهو مستلق على ظهره، أما المساكن فهي مصنوعة من سنابل( قمح أو أي نبات أخر) ، وتكون ملفوفة حول أغصان السمار، وهي قابلة للنقل))[8] .**

وأما سترابون رغم أنه كتب كتاباً موسوما بالجغرافيا والذي ينقسم إلى 17 جزءا، إلا أنّ كتابته هي نوع من الجغرافيا التاريخية، فهي تهتم بوصف المكان بقدر ما تهتم بوصف الإنسان الذي يعيش فيه[9] ، فهذا الرحالة الجغرافي والمؤرخ الإغريقي الذي أشار إلى طبيعة المغرب القديم تضمنت كتاباته وصفا شاملا لكل سواحل شمال القارة الإفريقية ابتداء من دلتا النيل شرقا حتى ليكسوس بالمغرب الأقصى، ومن جهة أخرى يشير أيضا إلى الجبال الممتدة في موريطانيا ونوميديا، فيذكر بأنّ الإغريق أطلقوا عليها اسم جبال الأطلسي، كذلك يصف سترابون المنطقة الممتدة ما بين رأس بوقرعون بشرقي الجزائر وخليج السيرت بليبيا بأنها منطقة الوجود الليبي[10].

وحول نوميديا يضيف الرحالة سترابون"... **يمتلك النوميديون أراضي خصبة ولكنها مليئة بالحيوانات المتوحشة التي أعاقتهم على ممارسة الزراعة والاستقرار، فتركوا حقولهم للزواحف والحيوانات المفترسة وأصبحوا يعيشون حياة البداوة والتنقل نظرا لقحولة أراضيهم و جفاف وقساوة مناخهم"**[11]**، وربما** الأمر الذي جعل مصادر الرحالة الاغريق تصفهم ب" نوماداس- Numadas"، أي المتنقلون [12]، وعلى العكس من ذلك يعتبر سترابون بوصفه بلاد المازيسيل بأنّ **"أراضيها مزدهرة ومثمرة جداً، بل إن إنتاجها أو غلتها تكون مرتان في العام"**[13] .

**3- مضمون مصادر الرحالة الرومانيين:**

لا شك أنّ بلين القديم يعتبر من آخر من كتب عن جغرافية بلاد المغرب خلال القرن الأول ميلادي فقد نقل معلوماته عن سابقيه بالإضافة إلى مشاهداته الشخصية حيث بدأ رحلته من المحيط الأطلسي غربا حتى البحر الأحمر شرقا ولم تتجاوز معلوماته الساحل والمناطق التلية داخل بلاد المغرب، وحسب هذا المؤرخ فإن بلاد المغرب كانت مقسمة إلى عدة مناطق سياسية منها: موريطانيا ونوميديا بقسميها المازيسيل والماسيل، وإلى الشرق منها تقع منطقة السيرت وقورينة، ويؤكد من جهة أخرى أن حدود نوميديا تبدأ جغرافيا من الأمبساجا (الوادي الكبير)[14].

ويعتبر سالوست بالرغم من أنه ليس من الرحالة لكن أسلوبه ومؤلفه يوحي وكأنه رحالة قد رحل إلى المناطق النوميدية – سيرتا- ومحتك بسكانها النوميديين ومنهم ينقل الأخبار ويدوّنها بالرغم من منصبه السياسي، ومن أقواله : **((في البداية كان الجيتولي والليبيون يسكنون إفريقيا وهو شعوب خشنة وغير متمدنين ويتغذون على لحوم الحيوانات المتوحشة وعلى مايجمعون))**، ويبدوا أنّ هذا المؤرخ الروماني قد استقى معلوماته المتعلقة بالسكان من خلال ما تركه **هيمبسال** بقوله:(( **لكن** أي **البشر كانوا يسكنون إفريقيا منذ البداية ومن الذين جاءوا فيما بعد، أو بأي أسلوب اختلط بعضهم**

**ببعض، وبالرغم من أنّ ما اكتبه يختلف عن الرواية الشائعة، فإنني سأعرض الأمور كما ترجمت لي من الكتب القرطاجية التي يقال أنها كتبها هيمبسال، وهي تتفق مع أراء سكان البلاد ... وسأروي ذلك بالإيجاز الممكن))**[15] .

وبالإيجاز يذكر سالوست أنهم: **(( لا يخضعون لِأي سلطة حاكمة وكانوا بدوا رحلا ينصبون مساكنهم كلما يضطرهم الليل، لكن عندما مات هيراكليس في إسبانيا كما يعتقد الأفريقيون فإن جيشه المكوّن من أقوام كثيرة سرعان ما تفكك بعد أن فقد قائده، ولاسيما أنّ كثيرين كانوا يرغبون في خلافته في قيادة الجيش، كان ضمن العدد الميديون والفرس والأرمنيون الذين بعد أن عبروا بالسفن إلى إفريقيا سكنوا مناطق بجوار بحرنا، لكن الفرس كانوا أقرب إلى المحيط، وهؤلاء بعد أن قلبوا أبدان سفنهم استعملوها أكواخاً باعتبار أنّه لا يوجد خشب في البلاد، كما لايمكن شراؤه من الإسبانيين أو مقايضته بمنتجات أخرى))[16].**

ويضيف سالوست:**(( وهكذا اختلط الفرس تدريجيا مع الجيتول عن طريق الزواج، ولأنهم كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر ليجربوا خصوبة الأرض فلقد سموا أنفسهم نوميداي، لكن الميديين والأرمنيين وهم شعوب يجاورون الليبيين ولِأنّ هؤلاء يسكنون أقرب إلى البحر الإفريقي، بينما يسكن الجيتول إلى الجنوب ولا يبعدون عن المناطق المحروقة بمسافة كبيرة، واستطاع هؤلاء أن يؤسسوا مدناً بسرعة، وطالما أنّ ما يفصلهم عن الإسبانيين هو المضايق فقط فإنهم بدوأ يبادلون معهم المنتجات، وبمرور الوقت غيّر الليبيون اسم هذه الشعوب ودعوهم ( الماوري- الموريين) بدلا من الميديين، لكن خلال وقت قصير اختلط هؤلاء بالفرس ، ونتج عن ذلك قبيلة كبيرة جدا تسمى النوميديين، وبعد إن انفصل الأولاد عن والديهم بسبب ازدياد السكان امتلكوا تلك الأماكن التي تحد قرطاج وتسمى نوميديا، بعد ذلك تبادل الشعبان القديم و الجديد الثقة وألزموا الشعوب المجاورة لهم بالخضوع لسلطتهم بقوة**

**السلاح أو بالتهديد وهكذا أحرزوا اسماً ومجداً لاسيما الذين كانوا بجوار بحرنا، ولِأنّ الليبين قوما أقل ميلاً للحرب من الجيتول، وأخيرا فإنّ النوميديون احتلوا القسم الأكبر من شمال افريقيا وانصهرت جميع الشعوب التي هزمت في الشعب المستعمر واسمه، وبعد ذلك فإن الفينقيين ومن أجل أن يخففوا من عبء ازدياد السكان في بلادهم أو بسبب ميلهم للسلطة أو حبهم للتغيرات فقد** أسسوا **هيبون Hippo ))**[17].و يقول أيضا:(( **ويسيطر النوميديون على بقية الأراضي وحتى موريتانيا، ويكون الموريون الأقرب إلى إسبانيا))**[18]، وهو حديث مطابق ومتناغم لما أورده الرحالة الجغرافي سترابون بأنّ ((**وراء نوميديا يعيش الجيتول الذين يسكن بعضهم في أكواخ ويعيش الأخرون حياة بدوية بسيطة غير متمدنة))**[19] .

ويرى بلين القديم بأنّ المملكة الماسيلية مساحتها صغيرة بالمقارنة مع باقي الممالك، وتشمل مقاطعة قسنطينة الحالية- سيرتا-، حيث تتقلص حدودها الشرقية أمام الوجود القرطاجي[20]، وبالتالي يكون "رأس تريتون" حسب الإغريقي سترابون حدا فاصلا بين قبائل الماسيل شرقاً وقبائل المازسيل غربا.

## 5. الخاتمة:

عند الحديث عما تناولته المصادر الاغريقية والرومانية فإننا كثيرا ما نجد فيه وصفا وتحليلا للبيئة الطبيعية، هذا إذا أضفنا إليها أوصافهم للحياة السياسية والمكونات الاجتماعية الأصلية منها والوافدة، بل وحتى احتكاكها بالحضارة المجاورة سواء في عالم البحر المتوسط أو القرطاجيين والرومان وحتى الإغريق، إذ ولّد الاحتكاك من خلال رحلات الاغريق والرومان تشجيعا على كثرة الوافدين إليها عبر التاريخ.

من بين التوصيات التي نصل إليها:

-يجب الاهتمام بمثل هذه المواضيع التي تحدد المكوّن العام والخاص للمنطقة الجزائرية القديمة.

- يجب تمحيص وتحقيق مصادر الرحالة والجغرافيين ومقارنة كل ماورد وفق الفترات المتقاربة والمتباعدة من أجل فرز الحقيقة التاريخية والجغرافية للمنطقة.

- مراعاة ميول مصادر الرحالة والجغرافيين والظروف المحيطة بهم وتوجههم وهو ما قد يساعد في تقصي معلوماتهم من خلال سيريهم وتحركاتهم المختل.

## الهوامش:

[1]كيحل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا814-146 ق.م، قسم التاريخ، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر2- بوزريعة،2012، ص4.
[2]أحمد سليماني، دراسة نقدية للمصادر والأثار – تاريخ شمال إفريقيا القديم-ع6، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر ، الجزائر،1992، ص19.
[3]محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003م ، ص 102-105.
[4]**جهاد محمد قربة، التطور التاريخي للفكر الجغرافي وبعض المفاهيم الخاصة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية**، 2016، ص7.
[5]هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، تر. مصطفى الأعشى، الرباط،2008، الفقرة رقم 197.
[6] محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر،2013، ص157-158.
[7] هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس( هيرودوت) الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، تر: محمد مبروك الدويب، جامعة قاريانوس، ليبيا، الفقرة189/ ص128.
[8] نفسه، فقرة199/ص128-129.
[9] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية" النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية"، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص17.
[10] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص110.
[11] S**trabon**, la géographie de Strabon, livre **XVII**, trad par : Amédée, Hachette, Paris, 1880 **, 3.15.**
[12] Salluste, **La guerre de Jugurtha**, tra.F. Richard, Ed. Garnier Flammarion. Paris. 1966, **IXVII.**
[13] - S**trabon**, Loc.Cit,5,33،
[14] Pline l'Ancien, **histoire naturelle**, livre v, trad : M. Nisard, paris, 1871, III.
[15]سالوست، الحرب اليوغرطوية، تر: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا،2007، فقرة17، ص.31
[16]نفسه، فقرة 18 ص31-32.
[17] نفسه.
[18] نفسه.
[19] نفسه.

[20] Pline l'Ancien, Loc.Cit, 30-31.